التفاعل النصّي في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه

المدرس المساعد
أبوذر محمد نـجم الموسوي
جامعة الفرات الأوسط التقنية ـ المعهد التقني ـ كوفة
Abuther.mohammed.iku@atu.edu.iq

Textual interaction in the era of Imam Ali, peace be upon him, by Malik al-Ashtar, may God be pleased with him

Assistant Lecturer
Abu Dhar Muhammad Najm Al-Mousawi
Al-Furat Al-Awsat Technical University - Technical Institute - Kufa

الملخص:-

تقوم فكرة التناص على أن النص لم يُعد مستقلاً بنفسه، بل يتشكل من خلال استحضار نصوص أخرى وفق آليات معينة، ووقع اختياري لهذا الموضوع للعلاقة القوية التي تربط الإمام علي عليه السلام بكتاب الله والنبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويحاول الباحث دراسة العلاقة القائمة بين العهد الذي كتبه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لواليه مالك الأشتر وبين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فقد شاع المصطلح في الممارسات النقدية، فأصبح من الأدوات الرئيسة في الدراسات النقدية الحديثة، ويسعى الباحث إلى دراسة صور العلاقات التفاعلية الكلية والجزئية، التي تربط نصوص محل البحث بتلك النصوص، وخلص البحث إلى أن نصوص العهد تناصت مع نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف من وجوه عدة، أهمها: استصحاب السياق الأصلي إلى سياق النص الجديد أو تحويله إليه أو دمج السياقات الأصلية في قالب سياقي واحد فتشكل نص واحد.

الكلمات المفتاحية: التفاعل النصّي، التناص، البنية، البنية المستقلة.

Abstract:-

The idea of intertextuality is based on the fact that the text is no longer that independent entity that exists on its own, but rather has become an entity that is formed by conjuring other texts, according to certain mechanisms, and in view of the strong relationship that links Imam Ali (peace be upon him) with the Holy Qur'an, and the Final Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family).) I was chosen for this topic The research attempts to study the relationship that exists between the covenant written by Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) to his governor Malik al-Ashtar and the Holy Qur'an and the Noble Prophet's Hadith.The term has become widespread in critical practices and has become one of the main tools in modern critical studies.The research seeks to study images of interactive relationships.Macro and micro, which link the texts in question to those texts, and the research concluded that the texts of the covenant are intertextual with the texts of the Holy Qur'an The noble hadith has many aspects, the most important of which are: bringing the original context to the context of the new text, or converting it to it, or merging the original contexts into a single contextual template, thus forming a single text.

Keywords: Textual interaction, intertextuality, structure, independent structure.

المقدمة:ـ

تميزت الرؤية التي قدّمها كتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام عن الدين والحياة، فقد اشتملت موضوعاته على شروحات وافية للأمور الدينية والفلسفية والتاريخية مما جعل الباحثين على مر العصور يعكفون على دراسة نصوصه، وحفزهم للبحث عن خصوصياته؛ للكشف من خلاله عن فهم عميق للدين والحياة.

ومن البديهي أن تمنح المصادر المتنوعة التي يعتمد مؤلف أي نص عليها ثراءً معرفياً، وقوة استدلال على أحقية الفكرة التي يريد إيصالها إلى المتلقي، ومن هنا كان للمصادر التي تشكل ثقافته حضور كبير في تلك النصوص، ومعنى هذا أن الكاتب لا يمكنه أن يكتب من فراغ، بل لا بد من تداخل نصوص سابقة مع النص الحاضر، بقصد كان ذلك أو دون قصد.

وقد دفعني لكتابة هذا الموضوع التأثر الكبير للإمام علي عليه السلام بالنص الديني، وقد ركز البحث على التناص مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

خطة البحث - يشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة - تشتمل على أهمية البحث، وسبب اختياره وخطة البحث.

التمهيد - ويشتمل على أهمية دراسة التناص في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، وسبب الاعتماد على أكثر من مصدر.

المبحث الأول - وتحدثت فيه المهاد النظري للتفاعل النّصي، والولادة الحقيقية لهذا المصطلح، و**المبحث الثاني** - تحدثت فيه عن التفاعل النصي الكلي، واستدعائه للنصوص كبنية مستقلة منفصلة عن النص الحاضر، و**المبحث الثالث** - تحدثت فيه عن التفاعل النصي الجزئي (غير المباشر)، بمعنى حضور النص المستدعى مدمجاً بالنص الحاضر، والمتلقي هو من يحدد النصوص عن بعضها، واخيراً تحدثت في **المبحث الرابع** عن التناص مع الاحكام الدينية، (العفو والصفح، القتل، العدل والجور، الرحمة، التوازن والاعتدال).

الخاتمة: اشتملت على النتائج، وأهم ما تضمنه البحث.

قائمة المصادر والمراجع.

وأرجو من الله العلي القدير أن يوفقني في أن أقدم ما أنتفع به في الدنيا والآخرة، إنه تعالى نعم العون والمعين.

تمهيد:ـ

لعل الرسالة التي خصّها عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) هي من أهم المواضيع التي تخصّ الحاكم، وعلاقته برعيته، وقد نالت هذه الوثيقة التاريخية نصيباً وافراً من جهد الباحثين لأجل الوقوف على مميزاتها.

وتحاول هذه الدراسة المتواضعة أن تبرز بعض الجوانب الفنية المهمة لتلك الوثيقة والمتمثلة في ظاهرة التفاعل النصي، وكيف استثمر التجليات الإبداعية والفنية، والفاعليات الدلالية، والأبعاد الجمالية للنصوص المتناصة، وقد جاءت تلك النصوص مذكورة صراحة تارة، أو شبه اقتباس حرفي تارة أخرى، أو من خلال استلهام مفاهيمها دون النقل الحرفي.

تكمن أهمية دراسة التفاعل النصي في العهد العلوي لمالك الأشتر رضي الله عنه في كونه يعتمد على مرجعيات عدة، وأشكال مختلفة، ويسعى الباحث في هذا المبحث إلى استكشاف العلاقات بين النص - محل البحث - والمصدرين التي أفاد منهما، وهما (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)، وبيان أثر تلك النصوص السابقة في تشكيلها.

وبعد الاطلاع على متن العهد من أكثر من مصدر، وما وجدت فيما بينها من اختلاف بالزيادة والنقيصة، اعتمدت في مادة الدراسة على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده، وعلى كتاب تحف العقول آل الرسول صلى الله عليهم لابن شعبة الحراني، وهو من إعلام القرن الرابع.

لا يحتاج القارئ إلى بحث كثير ليكتشف نقاط الالتقاء بين نصوص العهد العلوي لمالك الأشتر ونصوص تلقاها الإمام علي عليه السلام بحكم البيئة التي نشأ فيها، فإننا بسهولة ويسر نلاحظ أثر كتاب الله المجيد والأحاديث النبوية الشريفة في ألفاظ ومعاني كلماته عليه السلام، ولعل مرد هذا سببان:

الأول: إن الألفاظ والمعاني التي يحتويها القرآن الكريم أعجزت العرب وأبهرتهم، فلا

شك أن من ينشأ في تلك البيئة يتخذ من هذا الكتاب المعجز معيناً ينهل منه أفكاره، وموروداً ينتقي منه مفرداته، ومنهجاً يعينه على صوغ عباراته.

الثاني: المكانة الخاصة التي حظي بها الإمام علي عليه السلام، ((قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا عَلِيُّ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُدْنِيَكَ وَأُعَلِّمَكَ لِتَعِيَ، وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، فَأَنْتَ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ لِعِلْمِي))[١].

وقد أشارت النصوص الدينية المتمثلة بالأحاديث النبوية الشريفة إلى الشخصية الثقافية للإمام علي عليه السلام فهو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، ولا شك أن الباب هو النقطة التي تسمح بالاتصال والوصول إلى داخل البناء، ومن البديهي أن يصمم الباب على الشاكلة التي يراها صاحب البناء مناسبة ليتسنى له من أن يقوم بالمهمة من أجلها وجد، وقد أشار عليه السلام إلى هذه التهيئة بقوله: ((ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما)).

المبحث الأول

المهاد النظري للتفاعل النّصي

يعد موضوع التفاعل النصي من المواضيع المهمة في النظرية النقدية الحديثة، وهو موضوع متشعب القضايا، ويندرج تحت مصطلح (Intertextualite)، والتي تتركب من (Inter)، و(Textualite)، والتي ترجمتا إلى (التناص)، و(التداخل النصي)، و(التفاعل النصي)[٣].

ويشير التفاعل النصي إلى المشاركة بين النصوص، ويضعها في علاقة ظاهرة أو خفية مع النصوص الأخرى، إذ يكون نص ما حاضراً في نص آخر سابق أو معاصر له، من خلال الاقتباس أو مفهوم التناص، وقد شاع بين الباحثين استعمال مصطلح التناص دون النظر إلى نوع العلاقة القائمة بين تلك النصوص، وقد شدد الناقد المغربي سعيد يقطين إلى عدم حصر كل العلاقات الموجودة بين النصوص بمصطلح التناص[٤].

فقد سعى الباحثون في دراسة العلاقات القائمة بين النصوص، وقد أفرزت تلك

الدراسات مصطلحات فرعية تجسد تلك العلاقات، وتكتشف سماتها، فالنص يتفاعل مع غيره من النصوص السابقة له لأسباب ثقافية واجتماعية وغيرها، فكان نتاج تلك الدراسات أن غدا التناص فرعاً من مفاهيم ومصطلحات جديدة، فيرى جيرار جنيت أن مفهوم المتعاليات النصية هو الجامع لتلك العلاقات القائمة بين النصوص، حيث يعد التناص مفهوماً فرعياً، ومن ثمّ استعمل مفهوم التفاعل النصي كمفهوم مقابل للمتعاليات النصية[٥]، ويرى الباحث سعيد يقطين بأنه مفهوم أوسع وأشمل من التناص وأدق من المتعاليات النصية لأنه ينظر إلى كل العلاقات الممكنة بين النص السابق واللاحق[٦].

والولادة الحقيقة لهذا المصطلح كانت على يد (ميخائيل باختين) من خلال إشاراته عن المحاورة القائمة بين النصوص السابقة له أو المعاصرة، وقد تلقت جوليا كريستفيا هذه الإشارات لتفصح عن مصطلح التناص لأول مرة في النظرية النقدية الحديثة عن طرق أبحاثها التي كتبتها ما بين سنة ١٩٦٦ - ١٩٧٦[٧].

ويشير التناص بأبسط صوره إلى النصوص والأفكار الحاضرة في ذهنية الأديب، والتي تكون جزءاً من ثقافته، ويتم دمج هذه النصوص والأفكار مع نص جديد يتشكل عن طريق آليات معينة تستدعيها، مثل الاقتباس والتضمين والتلميح والإشارة[٨].

ويتفق الدارسون على ضرورة تأثير الظروف الزمانية والمكانية في صاحب النص؛ لأن الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ترمي بظلالها على النص المكتوب، فالنص المكتوب في عصر صدر الإسلام يختلف عن النص المكتوب في العصر العباسي الثاني، كما أن البيئة الجغرافية التي تحيط بالنص لها الأثر البالغ في إنتاجه وتلقيه، فالركيزة التي يعتمد عليها أي نص متولد من معرفة صاحبه بالعالم الذي يحيط به، وهذا يقودنا إلى التسليم بأن التناص هو أمر لا مفر منه، ولا بد أن يكون حاضراً بالضرورة في كل النصوص[٩].

حاول الباحثون تفسير عملية إنتاج النصوص وفهمها وقد طرحوا لأجل ذلك نظريات عدة، بينوا فيها آليات وأسس يستند إليها الفكر البشري في ذلك، ومنها:

١- نظرية الإطار في إنتاج النص: تفترض النظرية أن هناك بنى تركيبية جاهزة في الذهن البشري تساعده في تشكيل النصوص، فمنشئ النص يلجأ لتلك القوالب الجاهزة

لتمكنه من معالجة المواقف الجديدة التي تصادفه، فمثلاً لو أراد ان يعبّر عن أل الولد للتفاحة، فإن الإطار التركيبي لذلك، يكون كالآتي:

فعل + فاعل + مفعول به (أكل الولد التفاحة)

ومن الجدير بالذكر أن الإطار التركيبي الذي يعكس المعرفة هو من الثوابت في البنية العميقة.

٢- نظرية المدونات: تدرس هذه النظرية العلاقة التبعية والترابط الوثيق بين المفاهيم، فمنشئ النص يعتمد على بعض المفاهيم للكشف عن الغموض الذي يحيط بالنص، فمثلاً قولنا: ذهبت إلى المدرسة، يقتضي النهوض مبكراً، واستخدام وسيلة نقل معينة لذلك، وغير ذلك، وكان من الممكن أن تذكر في النص، ولكن الاعتماد على التجارب السابقة، والمعرفة المختزنة، أغنيا عن التصريح بذلك، ونتيجة التداعي الذي يقوم بدور فعال في هذا المجال يتمكن المتلقي من إكمال النص[١٠].

إن هذه النظريات وغيرها تشترك جميعها في بيان قضية مفادها، أن إنتاج الكلام وفهمه لا يبدأ من الصفر، وأن إنتاج الخطاب وتلقيه لا بد له من الاعتماد على المخزون المعرفي، ولا نقصد بذلك تتابع التجارب السابقة من دون تنظيم وبناء يعمد إليه منشئ النص؛ (لأن النص ليس تجميعاً عشوائياً للنصوص، وإنما عملية تفاعل فيما بينها بدرجات ونسب متفاوتة، ويصدق عليها ما توحي به كلمة (تفاعل) بدلالتها المستقاة من حقل الكيمياء)[١١].

ويعّرف الدارسان الإيطاليان دي بوجراند ودريسلير (١٩٨٤) التناص في ضوء عملية الإنتاج والتلقي بأنه (الترابط بين إنتاج نص بعينه أو قبوله، وبين المعارف التي يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى)[١٢].

وقد يكون التناص مباشراً، وذلك عندما يستعين منشئ النص بأجزاء من نصوص سابقة، فيقدم لها ما يجعلها تناسب الموضع الجديد، وقد يكون غير مباشر، وفيه يعمد إلى استنباط الفكرة المراد استدعائها ونقلها إلى النص الجديد، ولا يكون النقل في هذا النوع حرفياً[١٣].

وهو ما أشار إليه الباحث المغربي سعيد يقطين في سياق ذكره لأنواع التفاعل النصي،

وقد ذكر من أنواعها:

١- المُناص: وهو أن يجيء منشئ النص بالمُناص كبنية مستقلة، ومتكاملة بذاتها، من دون نقص أو زيادة، والقارئ يلتفت إلى وجود هذه البنية لأنها خارجة عن النص الأصل وليست من المتن نفسه، وللمناصة أثر في فهم المتلقي للنص، وهو ما يقال عنه بالاقتباس الحرفي.

٢- التناص: في المناص الحديث عن بنية نصية مستقلة ومتكاملة، أما في التناص فإن منشئ النص يستدعي، أو يحضر نصوصاً سابقة، وهذا الحضور والاستدعاء يكون بشكل غير مباشر، فيندمج ببنية النص، ويتفاعل معها بصورة كلية، ولا يظهر بصورة مستقلة، بل بشكل تلميحات، أو إشارات غير مباشرة(١٤).

المبحث الثاني

التفاعل النصي الكلي

لعل المتأمل في كلمات الإمام علي عليه السلام يستكشف بسهولة ويسر أثر القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فنجدهما نبعاً أصيلاً للتناص، ويبرز فيها بشكل مكثف، فهما السند القوي لصياغة عباراته، وتكوين مفاهيمه، فقد كان عليه السلام يمتص الأفكار من النص القرآني والكلام النبوي ليوظفهما في نصوصه، ولا يخفى على المتأمل بتلك النصوص الحضور المكثف لهذين المصدرين المقدسين، وقد وصل تفاعله بهما إلى درجة لا نكاد معها أن نقرأ فقرة من فقراته إلا ونشعر بذلك الاستدعاء والتفاعل، نتيجة لكثافة التناص من ناحية، وامتزاجه بتشكيل نصوصه من ناحية أخرى، ونعرض في هذه الدراسة بعض الأمثلة من نماذج كثيرة للتناص القرآني، والحديث النبوي، ونأمل أن نوفق في بيان الطرائق المتّبعة في توظيف هذا الخطاب أو المصدر.

ومن أمثلة التفاعل النصي الكلي قوله عليه السلام: ((واردُدْ إلى الله ورسوله ما يضلعُك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة))(١٥)، وهنا يشير

بوضوح إلى أن الوالي لا بد أن تكون له أهلية النظر في استنباط الحكم الشرعي من الأدلة المقررة، والأدلة هي كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أي بمعنى أن يكون قادراً ومتمكناً من الاجتهاد[١٦].

ونلحظ أن الإمام عليه السلام يتحدث عن المرجعية التي ينبغي على الوالي أن يعتمد عليها في حل المعضلات والمشكلات التي تواجهه، ومن ثم نجده ينتقل إلى بنية مستقلة متكاملة، وهي الآية الكريمة، وهي عندما تحضر، وتستضيف بنية نصية كاملة، بلفظ النص الشريف وتركيبه، وهي بهذا الكيفية من الاستدعاء ((لها وظيفة معينة يجب كشفها وتحليلها، ما دامت تأتي في سياق نصي محدد، وتتفاعل مع بنية نصية معينة))[١٧]، إضافة إلى ما سبق، فإن الإحضار للبنية التامة يثير انتباه المتلقي، ويزيد الحماس والثقة عنده وعند المنشئ[١٨].

فلا شك أن وظائف الآيات القرآنية التي يقتبسها منشئ النص تعتمد على السياق الذي ترد فيه، وهي في محل البحث جاءت لتعزيز الموقف، وتأكيد الفكرة التي يراد إقناع المتلقي بها؛ لأن استخدام آيات القرآن الكريم في معرض الاحتجاج الديني والاخلاقي يعد حجة شرعية، وقد حقق الدعم للرأي القائل بوجوب الرجوع إلى الله ورسوله وأولي الأمر عند اشتداد الخطوب، ونزول النوائب، ((ومن البديهي أنه يجب أن تنتهي جميع الطاعات - عند الفرد المؤمن - إلى طاعة الله سبحانه، وكل قيادة وولاية يجب أن تنبع من ولاية الله سبحانه وذاته المقدسة تعالى وتكون حسب أمره ومشيئته، لأنه الحاكم والمالك التكويني لهذا العالم، وكل حاكمية ومالكية يجب أن تكون بإذنه وبأمره))[١٩]، فهذه العلاقة التي أنشأها عليه السلام بين النص القرآني والنص الأصلي من خلال التفاعل النصي حققت مبتغاها في تعميق الدلالة المرجوة،

ويؤكد عليه السلام على ضرورة الرجوع إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم، من خلال استدعائه نصاً قرآنياً جديداً، كما في رواية تحف العقول[٢٠]: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ٨٣

ومن أمثلتها أيضاً، قوله عليه السلام في حديثه عن وقت الوالي الذي يخصصه لعباداته، وعلاقته مع الله تعالى: ((فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ما يجب، فإن الله جعل النافلة

لنبيه خاصة دون خلقه، فقال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، الإسراء ٧٩، فذلك أمر اختص به الله نبيه وأكرمه به ليس لأحد سواه، وهو لمن سواه تطوع، فإنه يقول: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ١٥٨[٢١].

نلاحظ إن الإمام عليه السلام وفي أثناء حديثه عن ضرورة أن يخصص الوالي قسماً من وقته لأداء العبادات، والامتثال للطاعات، ينتقل إلى بنية نصية مستقلة، وفيها يأتي على ذكر عبادة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تمكن من خلال تفاعله التام مع النص الجديد في أن يكتشف دلالات لم يصرح بها:

أولاً: بعد أن حث واليه على أن يخصص وقتاً لعبادته، فقد يتبادر لذهنه أن المسؤوليات الملقاة على عاتقه كثيرة وخطيرة، وقد يجعل منها باباً للأعذار في تأدية الحقوق المتعلقة بالله عزّ وجل، ومجيء هذه البنية النصية المتعلقة أغلقت أمامه هذه الأبواب، فعلى الرغم من المسؤوليات الجسام التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتحملها، فلم تكن حائلاً لتأدية الحق الإلهي، بل أكثر من ذلك، فقد اختص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأمور لم يكلف أحداً من خلقه بها؛ تكريماً له وتهيئة له لمقامات كانت تنتظره.

ثانياً: تشير البنية المستقلة إلى نيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمقام المحمود من خلال النوافل، وهي ضرورية للحاكم كي يتمكن من الإفلات من فتنة الجاه، وما يترتب عليها من الطغيان والاستبداد.

ثالثاً: تكشف البنية المستقلة بوضوح عن رؤية الإمام عليه السلام للسلطة والحكم، فهي في فكره ترتبط بصاحب السلطة الحقيقية، فلابد للحاكم من أن يرتبط به في خلواته ليتمكن من تحقيق العدالة بين الرعية.

كما لاحظ الباحث تفاعلاً نصيّاً كلياً مع الحديث النبوي الشريف، ومن أمثلته، قوله عليه السلام: ((وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ))[٢٢].

ونلاحظ أن الإمام عليه السلام يتحدث في هذا الجزء من كتابه عن أحد أهم وظائف الوالي، وهي أن يخصص جزء من وقته لمقابلة أصحاب الحاجات، وينظر في حاجاتهم ويقضيها، ويحدد الظروف التي تتم بها المقابلة لكي تؤتي أكلها، ومن ثم يتفاعل النص الأصل مع النص النبوي الشريف تفاعلاً تاماً، ويستحضر البنية استحضاراً كلياً، ويحقق هذا الشكل من الاستدعاء بعدين مزدوجين، فهو:

أولاً: يضيف قيمة دلالية إضافية للنص، من خلال تأكيده على خطورة الواجب الذي على الوالي أن يؤديه مع أصحاب الحاجات.

ثانياً: ويكشف أن العدالة هي الأساس، وأن الدولة التي يعجز فيها الضعيف من الوصول إلى حقه لا يمكن أن ترتفع مكانتها ولا تكون دولة مباركة.

ومن أمثلته أيضاً قوله عليه السلام: ((وإذا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فإنّ في النّاس من به العلّة وله الحاجة. وقد سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين وجهّني إلى اليمن، كيف أصلّي بهم؟ قال: "كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً"))[٢٣].

نلاحظ أن الإمام عليه السلام استدعى بنية نصية مستقلة، ولم يدمج هذه البنية بكلامه دمجاً كاملاً، بل جاء بها بشكل منفصل، وقد حقق بهذا التفاعل الكلي أبعاد جوهرية، أهمها تأكيده على أن أفكاره وأقواله ليست ذاتية، بل تعتمد على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال عليه السلام في هذا السياق: ((ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به))[٢٤].

المبحث الثالث

التفاعل النصي الجزئي (غير المباشر)

في التفاعل النصي المباشر يتم استدعاء النص كبنية مستقلة منفصلة، فهي تجاور النص الأصل لتحقيق غايات متنوعة بحسب السياقات الواردة فيها، أما في التفاعل الجزئي فإنه يتم دمج النص بطريقة غير مستقلة، وتقع على عاتق المتلقي تحديد البنية المتداخلة، وقد يصعب عليه ذلك مالم يتم تحديد النصوص السابقة التي أخذت منها[٢٥].

ومن أمثلة التفاعل الجزئي غير المباشر مع القرآن الكريم، قوله عليه السلام: ((وليس شيء

أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد))[٢٦].

وفي هذا المثال نجد أنفسنا أمام نص مأخوذ من النص الديني (القرآن الكريم)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، سورة الفجر١٢، ونلاحظ أن النص الذي بين أيدينا يحيل إليه، ولا شك أن القرّاء يختلفون في تحديده بحسب نوعية خلفياتهم النصية؛ فهي مضمنة ضمن النص الأصل، ولم يتم الإشارة إليها كبنية نصية مستقلة، فهو عليه السلام يتحدث عن الظلم وآثاره الوخيمة التي تترتب على الظالم، والعدالة الإلهية في وضع هذا القانون، وكيف أنه تعالى قريب من عباده، ويراقب تصرفاتهم وما يفعلون، ولو رجعنا إلى سياق الآية فإننا نلحظ الرابط المعنوي أو الموضوعي الذي يجعل الإمام عليه السلام يستدعي النص القرآني، فالسياقان يتناولان قضية مشتركة، فكلا النصين يتحدثان عن فكرة مشتركة، ويسعيان إلى إيصال نفس الرسالة، وهي النتائج الوخيمة المترتبة على الظلم، وما قد يحدثه من آثار مدمرة، وقد منح التركيب (إن ربك لبالمرصاد) من الآية القرآنية في نهاية كلامه عن آثار الظلم وتداعياته على الظالم بعداً دينياً كان له الأثر الكبير على المتلقي.

ومن أمثلة التفاعل النصي الجزئي مع القرآن الكريم، قوله عليه السلام: ((وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِه وَقَلْبِه وَلِسَانِه، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَ عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ))[٢٧].

تتجلى في النص القدرة على التفاعل مع ألفاظ القرآن وتراكيبه وأفكاره، وكيف تمكن عليه السلام في هذه الفقرة من إحضار آيات عدة، ونسجها مع نصه من دون الإشارة إلى النص الديني (القرآن الكريم)، وصعوبة فصل النص المأخوذ من بنية النص الأصل، فهو مدمج معه، ففي قوله: (لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ هود ١٠٥، وفي قوله: (قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ سورة محمد ٧، وفي قوله: (فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ

﴿النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ سورة يوسف ٥٣، وقد مكنته هذه التفاعلات النصية المكثفة من تعميق المعاني المرادة؛ فقد ربط الأفكار التي يريد إيصالها للمتلقي بسياقات قرآنية معروفة لديه.

تساعد كلمتي (شقي)، و(سعيد) الذاكرة على استدعاء الآية الكريمة، وهما يرتبطان بمفاهيم العقاب والثواب، والجزاء الأخروي.

ومن أمثلة التفاعل الجزئي غير التام مع الحديث النبوي، قوله عليه السلام: ((وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا))[٢٨].

فهنا تظهر مفردة (السنة الصالحة) بوصفها مثيراً أسلوبياً، يفرض ضرورة اقترانه بالنص الديني المتمثل بالحديث النبوي الشريف، ((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهَا وَأَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))[٢٩].

ويشيع عند اللغويين والمفسرين ارتباط المفردة بالحديث النبوي الشريف، ((والسُّنّة الطريقةُ المستقيمة المحمودة، ولذلك قيل: فلانٌ من أهل السنّة، وسَننتُ لكمْ سُنّة فاتبعوها، وفي الحَديث: (من سَنَّ سُنّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عَمل بها ومَن سَنّ سُنّةً سَيِّئةً) يُريد من عَمِل بها ليُقتدَى به فيها))[٣٠].

ومن أمثلته قوله عليه السلام: ((وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضَعِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ))[٣١].

حضر النص النبوي بشكل متميز في هذا المقطع من كلامه عليه السلام، ونلاحظ أن الإمام عليه السلام قد استلهم الحديث النبوي وتوجيهاته فحرك دلالتها وأدخلها في بناء نصه لتغنيه بالدلالة المعنوية التي أرادها، وقد أكد ذلك من خلال تناصه مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا علي لا تشاور جبانا فإنه يضيق عليك المخرج، ولا تشاور البخيل فإنه يقصر بك عن غايتك، ولا

تشاور حريصا فإنه يزين لك شرهما، واعلم يا علي أن الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن))[٣٢]، والنّصان لهما نفس الموضوع في بيان صفات من ينبغي على الوالي أن لا يجعلهم من أهل مشورته، وهي (الجبن والحرص والبخل).

وقد يقوم التناص على كلمات تحمل مخزون من الدلالات والمفاهيم اكتسبتها من الاستعمال القرآني، فتتشكل دلالات تحضر عند محاولة تفسير المفردات في سياقها الجديد[٣٣]، ومن أمثلته، قوله عليه السلام في بيان أمور لا بد ان يراعيها الوالي في التعامل مع رعيته: ((واخفض جناحك للضعفاء))[٣٤]، وعلى الرغم من وقوع تركيب (خفض الجناح) في سياق جديد، إلا أنه يستمد دلالته من قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، سورة الشعراء ٢١٥؛ فلا يخفى علاقة النص وارتباطه الأسلوبي بالآية الكريمة، فنلاحظ انتقال دلالة الصورة القرآنية التي تدعو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون مع المؤمنين مثل ((الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب))[٣٥]، وهي بذلك ((تحفظها من التشتت والتفرق! فكذلك الأمر بالنسبة للنبي إذ أمر أن يخفض جناحه للمؤمنين الصادقين))[٣٦].

ومن أمثلته أيضاً، قوله عليه السلام: ((ثم لا تكلن جنودك إلى مغنم وزعته بينهم بل أحدث لهم مع كل مغنم بدلا مما سواه مما أفاء الله عليهم، تستنصر بهم به ويكون داعية لهم إلى العودة لنصر الله ولدينه))[٣٧].

ونلاحظ أن التفاعل النصي هنا قد تعلق بمفردة قرآنية يدور حولها، وهي (الغنائم)، وقد جلبها الإمام عليه السلام ووضعها في نصه، وهي تستدعي موروثها القرآني الأصلي الذي كانت فيه، ففي قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾، سورة الفتح، (٢٠)، ((يدل لحن الآية أن المراد من المغانم الكثيرة هنا جميع المغانم التي جعلها الله للمسلمين سواء في أمد قصير أم بعيد حتى أن جمعا من المفسرين يعتقدون أن المغانم التي تقع في أيدي المسلمين إلى يوم القيامة داخلة في هذه العبارة أيضاً))[٣٨]، فلا بد أن يتواصل ويستمر الوالي في توزيع ما يحصل عليه المسلمون بسيوفهم، فتكون دافعاً لهم في الذود عن حياض المسلمين.

ومن أمثلته أيضاً، قوله عليه السلام: ((إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ))[٣٩].

وتبدو روعة التناص جلية، واضحة في استلهام الإمام علي عليه السلام فقرات كلامه من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، محاولاً بذلك تقريب المعنى وتمثيله إلى ذهن المتلقي، حتى تسكن بها نفسه وتطمئن لها، ليرسم بتفاعله مع هذين النّصّين، النص السماوي المقدس، والنص النبوي الشريف، صورة تفصيلية لعواقب هذا الذنب المحرم، فصورة الإحالة إلى النص القرآني جلية واضحة في قوله عليه السلام: (إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا)، ويعتمد النص على الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الأنعام ١٥١، وهو عليه السلام لم يقتبس النص حرفياً، بل استلهم دلالته، ووظفه داخل سياق جديد يخدم رؤيته للعواقب المترتبة على سفك الدماء المحرمة.

المبحث الرابع

التناص مع الأحكام الدينية

وقد استوحى الإمام علي عليه السلام من الإحكام القرآنية معانٍ دلالية توضح رؤية عميقة، ولا يرجو بذلك التناص الزخرفة الفنية أو الزينة اللفظية للنص، وإنما الوصول إلى البنية اللغوية والدلالية المستقرة في ذهنية المتلقي؛ لأجل خلق دلالات تثري النص.

١- العفو والصفح:

((فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الأمرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ))[٤٠]، فالإمام عليه السلام هنا يوظف طاقات التفاعل النصي ليؤكد من خلالها شرف مفهومي العفو والصفح، فنلاحظ سيطرتهما بقوة على النص السابق، ولهاتين المفردتين خصوصية في السياق القرآني، وبيان فضلهما ينتمي بقوة إلى التناص مع الخطاب القرآني ويستدعي إلى

خصوصيتهما الدالة على التجاوز عن الذنب وتركب العقاب عليه، وقد وردا في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة التغابن ١٤)، والعفو والصفح بمعنى واحد، إلا إن الصفح أبلغ من العفو، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح[٤١].

٢- القتل:

ومن هذه الأحكام أحكام القتل، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء ٩٣، إذ ورد التناص في قوله عليه السلام: ((إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا))[٤٢].

ومن ثم يتناص في الآثار المترتبة على القتل يوم القيامة مع الحديث النبوي الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء فيوقف ابني آدم فيفصل بينهما ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد ثم الناس بعد ذلك حتى يأتي المقتول بقاتله فيتشخب في دمه وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول: أنت قتلته فلا يستطيع أن يكتم الله حديثا))[٤٣]، قال عليه السلام: ((وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، ويشير في هذه الفقرة إلى أن إعطاء الأولوية في الحساب لسفك الدماء هو للتأثير الكبير الذي يحدثه هذا الأمر، فتقديم الحساب على هذه العقوبة لم يخلو من حكمة، فنجد أن القرآن الكريم يتحدث بعد خلق الإنسان عن قضية القتل، وسفك الدماء الطاهرة، كما في قضية قابيل وهابيل، وليس هذا إلا لخطورة هذه الجريمة، وشناعتها، وعظمها عند المشرع الحق، قال تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ سورة المائدة / ٣٢، وهذا يدل على أن الدماء المعصومة لها قيمة عظيمة عند الخالق تعالى، فهي من الجرائم التي تسبب بانتشار الفوضى، وشيوع الفساد.

٣- العدل والجور:

العدل هو مفهوم مركزي في عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه كما هو في كتاب الله

العزيز، ويبرز بقوة في كلماته عليه السلام، ولا غرابة في التركيز عليه لما له من أهمية قصوى في إدارة الحكم، وسياسة العباد والبلاد، ويحقق لهم السلم الاجتماعي، والحياة السعيد المترفة.

وقد انطلق عليه السلام في تأسيسه لهذا المفهوم من القرآن الكريم، ففي قوله عليه السلام: ((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية))[٤٤]، ترغيب لهذه الصفة، صفة العدل التي تجعل من الوالي محبوباً عند خالقه، ومحبة الخالق لمخلوقه المتلبس بهذه الصفة الجليلة هي حقيقة ثابتة من الحقائق القرآنية، قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ سورة المائدة / ٤٢، ((والْقسْط هُوَ الْعدْل ابين الظَّاهر وَمِنْه سمي الْمِكْيَال قسط وَالْمِيزَان قسطا لِأَنَّهُ يصور لَك الْعدْل فِي الْوَزْن حَتَّى تراهُ ظَاهرا))[٤٥]، وينبغي الإشارة إلى أن حب الوالي لثبات هذه القيمة الجليلة لا بد أن تكون نابعة من اعماقه، يخالف بذلك الأهواء الباطلة، وهو ما استوحاه من القرآن الكريم ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة ص/٢٦.

ويؤكد عليه السلام على ضرورة ثبات هذه القيمة واستقامتها في المجتمع، ففي قوله، ((وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ))[٤٦]، فهو عليه السلام لم يتحدث عن ظهور العدل بين الناس في مواقف جزئية، بل ينبغي أن يشيع العدل بينهم، ويستقيم في جميع مجالات الحياة؛ لأن ظهوره في مواقف جزئية لا يستلزم شموله في جميع مناحي الحياة[٤٧]، بل لا بد من اتصافه بهذه الخصوصية التي أشار إليها بقوله (استقامة العدل) وهي كلمة لها دلالتها العميقة في هذا الموضع، وفي اللغة ((أَقَمْتُ الشَّيْءَ وقَوَّمْته فَقامَ بِمَعْنَى اسْتقام، قَالَ: والاسْتِقامة اعْتِدَالُ الشَّيْءِ واسْتِواؤه))[٤٨].

٤- الرحمة:

تعد الرحمة من القيم الإنسانية العظيمة، والتي لها أثر كبير في تقوية أواصر المجتمعات، ونشر المحبة والمودة بين أفراده، وهي من الأمور الأساسية التي دعا إليها الإسلام، وقد جعلها الخالق سلوكاً يعيشه الإنسان على مدار اليوم دون انقطاع، فأقل ما يجب على الإنسان المسلم تكرار هذه الصفة العظيمة في البسملة وفي سورة الفاتحة يومياً خمس مرات، إذ وصف الله تعالى نفسه بـ (الرحمن الرحيم).

ونلاحظ في العهد العلوي تفاعلاً ملموساً مع هذه القيمة العظيمة، ففي قوله عليه السلام: ((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ))[٤٩]، يتفاعل مع النص القرآني والكلام النبوي في الحث على الرحمة التي هي سلوك عملي تجاه الآخرين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ سورة البلد / ١٩، وورد في الحديث النبوي الشريف: ((الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))[٥٠].

٥- التوازن والاعتدال:

كما تفاعل الإمام عليه السلام في قوله: ((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق))[٥١]، مع المفهوم القرآني الأوسطية، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ سورة البقرة ١٤٣ ووسط الشيء ما بين طرفيه، وهو الأفضل؛ ولذا قيل: أن وسط المرعى أفضل من طرفيه، وكذا يتمكن راكب الدابة إذا اختار وسطها[٥٢]، والوسط - على ما ذكره المفسرون - الخيار أو العُدُول[٥٣]، ومن لوازم معنى الأوسطية التزام الاعتدال في المواقف، لتجنب الوقوع في الإفراط أو التفريط وعلى الوالي أو الحاكم مراعاة هذا الحد؛ لأنه الضامن لحفظ حقوق الرعية[٥٤]، وسبيل التوازن والاعتدال هو من القضايا التي يعتمدها المنهج الإسلامي في جميع مجالات الحياة[٥٥].

الخاتمة:ـ

من خلال ما قام به البحث في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه في مجال التفاعل النصّي مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج لعل أهمها:

١- إن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أهم مصادر التناص، وقد ظهرت ملامح التفاعل النصّي واضحة بيّنة من خلال استصحاب النص الأصلي إلى سياق النص الجديد، أو من خلال دمجه معه في قالب واحد، فجاءت السياقات محكمة النسج، متجانسة فيما بينها في بنية نصية واحدة.

٢- استعانة الإمام علي عليه السلام بالمفاهيم الإسلامية الكبرى (كالعدل والظلم، والتوازن

والاعتدال، والعفو والصفح)، واستثمرها تناصياً مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم أعاد صياغتها في أسلوب بلاغي وتشريعي.

٣- نلاحظ تحقق التفاعل النصي عند الإمام علي عليه السلام من خلال استدعاء المفردة القرآنية أو المفردة النبوية مع شحنها بسياق جديد يخدم النص، مثل (خفض الجناح والشقي والسعيد والسنة الصالحة)، وقد احتفظت هذه المفردات بحمولتها الدلالة الأصلية.

هوامش البحث

(١) - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة - دار الكتاب العربي بيروت، ١: ٦٧

(٢) - ظ: فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام أحمد المغربي الغماري، تح: عماد سرور، ط / ٢، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ م، ١٣

(٣) - ظ: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشى، افريقيا الشرق - المغرب، ٢٠٠٦، ١٦

(٤)- مصطلح التفاعل النصي، النشأة والامتداد، صادق السلمي، مجلة جذور، العدد ٤٠، ٢٠١٥، ١٦٦.

(٥) - التفاعل النصي والترابط النصي بين نظرية النص والإعلاميات، سعيد يقطين، مجلة علامات، ج /٣٢ مج /٨، ١٩٩٩، ص /٢١٨.

(٦) - ظ: المصدر نفسه

(٧)- ظ: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشى، ١٨

(٨) - ظ: التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزغبي، مؤسسة عمون، الأردن ط: ٢، ٢٠٠٠، ١١

(٩) - ظ: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: ٣، ١٢٣

(١٠) - ظ: المصدر نفسه، ١٢٣ - ١٢٤

(١١) - مصطلح التفاعل النصي، النشأة والامتداد، صادق السلمي، مجلة جذور، العدد ٤٠، ٢٠١٥، ١٦٧

(١٢) - علم اللغة النصي - النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب - القاهرة، ٢٠٠٩، ٧٤

(١٣) - ظ: علم اللغة النصي - النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ٧٩ - ٨٠

(١٤) - ظ: انفتاح النص الروائي - النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي - المغرب / ط: ٢، ٢٠٠١، ١١١ وما بعدها.

(١٥) - نهج البلاغة، محمد عبده، دار المعرفة - لبنان ٣: ٩٣

(١٦) - ظ: عهد الأشتر، مضامين ودلالات، جعفر العاملي، المركز الإسلامي للدراسات - لبنان، ط: ١، ٢٠١٧، ٢: ٢٨

(١٧) انفتاح النص الروائي - النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي - المغرب / ط: ٢، ٢٠٠١، ١١٤.

(١٨) - ظ: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسنية، هادي سعدون هنوت، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢، ٣٠

(١٩) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، ناصر مكارم الشيرازي، مج ٣: ١٥٠

(٢٠) - تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، الحراني، تح: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان، ط: ٧، ٢٠٠٢، ٩٥

(٢١) - المصدر نفسه: ١٠١

(٢٢) - نهج البلاغة، محمد عبده، ٣: ١٠٢

(٢٣) - المصدر نفسه، ٣: ١٠٢

(٢٤) - المصدر نفسه، ٢: ١٥٧

(٢٥) - انفتاح النص الروائي - النص والسياق، سعيد يقطين، ١١٦

(٢٦) - نهج البلاغة، محمد عبدة، ٣: ٨٥

(٢٧) - المصدر نفسه ٣: ٨٣

(٢٨) - المصدر نفسه ٣: ٨٩

(٢٩) - المعجم الكبير، الطبراني، تح: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: ٢، ٢ / ٣١٥

(٣٠) - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ٢٠٠١، ١٢: ٢١٠

(٣١) - نهج البلاغة، محمد عبده، ٣: ٨٧

(٣٢) - بحار الأنوار، أَبُوعَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بَاقِرُ بِنُ مُحَمَّدٍ تَقِيِّ بِنُ مَقْصُودٍ عَلِيِّ الْمَجْلِسِيُّ (١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي - لبنان، ط: ٣، ٧٢: ٩٩

(٣٣) - جماليات التناص، احمد جبر شعث، دار مجد لاوي - الأردن، ط: ١، ٢٠١٤، ٢١٣

(٣٤) - تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، الحراني، ١٠٠

(٣٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧هـ، ٣: ٣٤٠.

(٣٦) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان، ط: ١، ٢٠١٣ م، ٩: ٣٣٥

(٣٧) - تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، الحراني، ٩٤

(٣٨) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، ناصر مكارم الشيرازي، ١٣: ٤٩

(٣٩) - تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي - لبنان، ١٠٣

(٤٠) – نهج البلاغة، محمد عبده، ٣: ٨٤
(٤١) – ظ: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: ٦، ٣٦٢
(٤٢) – نهج البلاغة، محمد عبده: ٣:١٠٧
(٤٣) – الكافي، الشيخ الكليني (٣٢٩)، علي أكبر غفاري، ط: ٣، ١٣٦٧، ٧: ٢٧١
(٤٤) – نهج البلاغة، محمد عبده: ٣: ٨٦
(٤٥) ظ: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، داتر العلم والثقافة – القاهرة، ٢٣٤
(٤٦) – نهج البلاغة، محمد عبده: ٣:٩٢
(٤٧) – ظ: عهد الأشتر – مضامين ودلالات، جعفر مرتضى العاملي ١/ ٣٥٦
(٤٨) – لسان العرب،: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، ط: ٣، ١٤١٤ هـ، ١٢: ٤٩٨
(٤٩) – نهج البلاغة، محمد عبده: ٣:٨٤
(٥٠) – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين بن حسام الدين المعروف بالمتقي الهندي (٩٧٥هـ)، تح: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، ط: ٥، ١٩٨١، ٣: ١٦٣،
(٥١) – نهج البلاغة، محمد عبده: ٣: ٨٦
(٥٢) – ظ: لسان العرب، ابن منظور، ٧: ٤٢٨
(٥٣) – ظ التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢ م ١٨
(٥٤) – ظ: عهد الأشتر – مضامين ودلالات، جعفر العاملي، المركز الإسلامي للدراسات – بيروت، ١: ١٦٤
(٥٥) – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، ناصر مكارم الشيرازي، ١: ٢٧٦

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم
١ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – لبنان، ط: ١، ٢٠١٣ م
٢ – انفتاح النص الروائي – النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي – المغرب / ط: ٢، ٢٠٠١
٣ – بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي – لبنان، ط: ٣،
٤– التحرير والتنوير، لابن عاشور
٥– تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليهم)، الحراني، تح: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – لبنان، ط: ٧، ٢٠٠٢
٦– تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:٣.

٧- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسنية، هادي سعدون هنوت، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢

٨- التفاعل النصي والترابط النصي بين نظرية النص والإعلاميات، سعيد يقطين، مجلة علامات، ج/٣٢ مج / ٨، ١٩٩٩.

٩- التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية، عبد القادر بقشى، افريقيا الشرق - المغرب، ٢٠٠٦

١٠- التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزغبي، مؤسسة عمون، الأردن ط: ٢، ٢٠٠٠.

١١- تهذيب اللغة، الازهري، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ٢٠٠١.

١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)، السعادة - دار الكتاب العربي - بيروت

١٣- جماليات التناص، احمد جبر شعث، دار مجد لاوي - الأردن، ط: ١، ٢٠١٤،

١٤- علم اللغة النصي - النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب - القاهرة، ٢٠٠٩،

١٥- عهد الأشتر، مضامين ودلالات، جعفر العاملي، المركز الإسلامي للدراسات - لبنان، ط: ١، ٢٠١٧،

١٦- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام أحمد المغربي الغماري، تح: عماد سرور، ط / ٢، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ م

١٧- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة

١٨- الكافي، الشيخ الكليني (٣٢٩)، علي أكبر غفاري، ط: ٣، ١٣٦٧،

١٩ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧ هـ

٢٠-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، تح: بكري حياني، مؤسسة الرسالة، ط: ٥، ١٩٨١.

٢١- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط: ٣، ١٤١٤ هـ

٢٢- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: ٦،

٢٣- المعجم الكبير، الطبراني، تح: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: ٢

٢٤- نهج البلاغة، محمد عبده، دار المعرفة - لبنان

- المجلات والدوريات:

١- مصطلح التفاعل النصي، النشأة والامتداد، صادق السلمي، مجلة جذور، العدد ٤٠، ٢٠١٥.